

لحظة استرخاء



إننا نسمعه دائماً..

في مرحلةٍ ما كنت أسميه صوت الصمت..

وفي مرحلةٍ أخرى ظننت أن ثمة خللٍ بأذني يجعلني أسمع هذا الصرير المتواصل.. ثم تأكدت أنه الجدجد..

أو ربما قبيلته بأسرِها، فكيف يقوى واحدٌ فقط من هذه الحشرات الصغيرة على إيصال هذا الصوت بهذا الإصرار والفاعلية... ولكن أين تختبئ هذه الجادج؟ إنني بالكاد أرى واحداً منها في العام، ومع ذلك فأنا أسمعها كل ليلةٍ تعزف معزوفة الليل..

يزعم العلماء أن الجدجد يعزف ليناودي أنثاه، ثم يعزف لإقناعها بنفسه عندما تأتي، وأحياناً يعزف احتفالاً عندما ينجح في اجتذابها، فيا لها من أنثى! ويقول بعضهم إنه يعزف أيضاً ليحمي أرضه، فيا له من مواطن!

ومع ذلك فلا زلت لا أعلم تماماً لمن يعزف، ولا أعلم تماماً من ينادي، ولكني أعلم أننا بني البشر مدينون لهذه المخلوقات الصغيرة.. نداءؤها المحمومة الدؤوبة، تجعلنا بشكلٍ أو بآخر، نشعر بالأمان، فلو كان ثمة خللٍ في سير هذه الدنيا أكانت الجادج تؤدي معزوفتها هذا المساء؟

وفي هذه اللحظات التي أغمضت فيها عينيّ وتنفست عميقاً بضع ثوانٍ من أجل لحظة استرخاءٍ في جوف الليل علّها تسرع بي إلى النوم، يأتي صوت هذا المخلوق الصغير الذي لا يملّ من العزف ليعزز لحظة استرخائي هذه.

ثم في هذه اللحظة الساحرة التي أنتقل فيها من عالم أمتلك فيه نفسي إلى عالمٍ أتخفّف فيه من أعبائها، أكتشف أنني أحترمك أيها الجدجد، لقد أوصلت صوتك.. ووضعت بصمتك على الليل

حتى عرف بك وعرفت به.. بل ووضعت بصمتك في عالمنا هذا بأسره.. إنك تؤدي دورك في هذا العالم بينما يفضل بعضنا نحن البشر أن يكون بلا دور..

د. خليفة

